

# الحسين

منهج الإصلاح والتغيير



حسن موسى الصفار

# الحسين

منهج الإصلاح والتغيير

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

محفوظ  
جميع الحقوق

الطبعة الأولى

١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م

القطيف - المملكة العربية السعودية

## مقدمة

---

تهبّ على مجتمعاتنا الإسلامية رياح الثورة والتغيير، وتعيش المنطقة العربية ربيعاً ثورياً زاهياً، انتعشت فيه آمال الشعوب الطامحة للإصلاح والتقدم.

فقد ضاقت جماهير الأمة ذرعاً بسياسات الظلم والاستبداد، واشتدت معاناتها من واقع الفساد والتخلف، وأذهلها الفارق الكبير بين حالها وحال الشعوب التي تنعم بالديمقراطية وتمتع بحقوق المواطنة.

وبعد أن يئس الشارع العربي من الوعود البرّاقة التي رفعها أبطال الانقلابات العسكرية، وأحزاب التوجهات اليمينية واليسارية، ومن الشعارات الزائفة التي تسّرت بها الحكومات الفاسدة، هنا انطلق الحراك الجماهيري في أكثر من بلد عربي بعيداً عن الأيديولوجيات والنظريات، وخارج هيمنة النخب والزعامات، ليجسد الإرادة

الشعبية في استهداف الإصلاح والتغيير، ومحاربة الظلم والفساد. لكن قوى الاستكبار العالمي، ومراكز الاستبداد الداخلي، وفلول المصلحين الانتهازيين، وذوي التوجهات المنحرفة المغرضة، هذه القوى والجهات المختلفة من الطبيعي أن تسعى لركوب موج الثورة والتغيير، لتتحرف بها عن مساراتها الصحيحة، ولتقودها إلى مزالق العنف والاحتراب الداخلي، ومتاهات الخلافات والفتن الطائفية.

ولمواجهة هذه الأخطار وتحصين حراك الشعوب من الاختراقات والمؤامرات، ما أحوج ساحة الأمة إلى اليقظة والوعي، واستحضار نماذج الإصلاح الرائدة، وتجارب الثورات الصادقة.

وحين تطل علينا عاشوراء وذكرى نهضة سيد الشهداء أبي عبد الله الحسين عليه السلام، فإنها تتيح لنا فرصة الارتواء من نمير عطائها الخالد، والاقتراس من جذوة شعلتها الوقادة، التي لم يزلها ممر العصور والقرون إلا توهجاً وإشراقاً.

فالحسين إنما خرج لطلب الإصلاح في الأمة كما قال عليه السلام وهو ربيب الوحي والنبوة، فسيرته في النهضة والإصلاح منهج يقتدى، وخطابه ومواقفه تشكل معالم هادية لكل حرٍّ غيور على مصلحة أمته ومجتمعه.

وهذه الصفحات المتواضعة بين يدي القارئ تحرير لمحاضرتين ألقيتا في موسم عاشوراء سنة ١٤٢٨ هـ تتضمن قبساً

من سيرة الحسين الشهيد، وتقدم إضاءة من منهجه في الإصلاح السياسي والتغيير الاجتماعي.

عسى أن يكون في نشرها ما يسهم في تعزيز ثقافة النهوض، وترسيخ قيم الرسالة والدين.  
والله ولي التوفيق.

حسن موسى الصفار

٢٣ شوال ١٤٣٣ هـ

١٠ سبتمبر ٢٠١٢ م



## الإمام الحسين وحركته السلمية

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ  
إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [سورة البقرة، الآية: ٢٠٨]

### ثقافة السلم وثقافة العنف

الإنسان باعتباره مدنيًا يعيش ضمن محيط اجتماعي، فإن الأجواء التي يتربى فيها، والثقافة التي يعيش ضمنها توجه نفسه وتؤثر على سلوكه. فإذا نشأ في مجتمع تسوده الرحمة والمحبة والتكافل، فإن ذلك يهيئه نفسيًا لكي يسلك طريق السلم والمحبة والتعامل الصحيح في حياته. أما إذا نشأ في أجواء قاسية جافة، أو كانت الثقافة السائدة في مجتمعه ثقافة تشجع على العنف، فإن هذا المجتمع ينتج أشخاصًا متمردين وعنفيين.

ولهذا نجد أن الإسلام يحرص على أن يوفر أجواء اجتماعية

محاطة بالرحمة والمحبة، فيشجع الوالدين على أن يغمرا الطفل بالعطف والحنان، وقد ورد في الأحاديث أن تقبيل الأب لولده له فيه أجر، ففي الحديث عن رسول الله ﷺ قال: «من قبّل ولده كتب الله له حسنة»<sup>(١)</sup>، وعنه ﷺ أنه قال: «أكثرُوا من قبلة أولادكم فإن لكم بكل قبلة درجة في الجنة»<sup>(٢)</sup>.

وفي رواية أن أحدهم رأى رسول الله ﷺ وقد أجلس الحسين على فخذيّه وكان يقبل هذا تارة ويقبل هذا أخرى، فقال: يا رسول الله إن لي عشرة من الأولاد ما قبلت واحداً منهم، فقال رسول الله: «ما عليّ منك أن نزع الله الرحمة منك»<sup>(٣)</sup>، وفي الوسائل<sup>(٤)</sup> قال: «من لا يرحم لا يرحم».

فينبغي أن يعيش الولد في ظل المحبة والحنان منذ صغره.

والإسلام يأمر كل أبناء المجتمع أن يعطفوا على الصغير، وهذه من آداب الإسلام ومن توجيهاته السامية، كما قال رسول الله ﷺ: «وقروا كباركم وارحموا صغاركم»<sup>(٥)</sup>.

(١) محمد بن الحسن الحر العاملي. وسائل الشيعة. ج ٢١، الطبعة الأولى ١٩٩٣م، (بيروت: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث)، ص ٤٨٥، حديث ٢٧٦٥٥.

(٢) رضي الدين أبي نصر الحسن بن الفضل. مكارم الأخلاق، الطبعة الثانية ١٤٢٢هـ، (بيروت: مؤسسة الأعلمي)، ص ٢١١.

(٣) المصدر نفسه. ص ٢٢٠.

(٤) وسائل الشيعة. ج ٢١، ص ٤٨٥، حديث ٢٧٦٥٧.

(٥) محمد باقر المجلسي. بحار الأنوار، ج ٩٣، الطبعة الثالثة ١٤٠٣هـ، (بيروت: دار إحياء التراث الإسلامي)، ص ٣٥٧.

إنه يُريد للإنسان أن يعيش في مجتمع تسوده الرحمة وليس فقط ضمن العائلة، وبذلك تنعكس هذه التربية على سلوكه فتراه يحترم هذا ويُقدّر ذلك، ويصل أرحامه، ولا يُؤذي جيرانه.

وفي الإسلام تعاليم خاصة باليتيم؛ لأنه فقد أحد الوالدين أو كليهما باعتبارهما الجهة التي تغمره بالعطف والرحمة بشكل أساس، لذا يأمر الإسلام بأن تكون لليтим معاملة خاصة، يقول تعالى: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ [سورة الضحى، الآية: ٩]، لكي يتربى هذا اليتيم في أجواء الرحمة والسلام.

أما إذا تربى الإنسان في أجواء قاسية جافة، لا أحد يعتني به، أو يعطف عليه، فهذا الإنسان لا يُمكن أن تتوقع منه إلا ذات الطريقة التي عاشها في صغره، فقد يكون عنده حسّ انتقام من المجتمع ومن المحيط حوله، يتعامل بنفس الجفاف والقسوة.

ولهذا تجد الإسلام يحذر من وجود حالات الفقر والحاجة والظلم في المجتمع، لما تنتج هذه الحالات من ردات فعل سلبية تجاه المجتمع، ولهذا ورد في الحديث عن رسول الله ﷺ قال: «كاد الفقر أن يكون كفراً»<sup>(١)</sup>. كما أن لأبي ذر الغفاري كلمة جميلة يقول فيها: إذا ذهب الفقر إلى بلد قال له الكفر خذني معك<sup>(٢)</sup>.

(١) محمد بن يعقوب الكليني. الكافي، ج ٢، الطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ، (بيروت: دار الأضواء)، ص ٣٠٧.

(٢) محمد جواد مغنية. الشيعة في الميزان، الطبعة الرابعة ١٣٩٩هـ، (بيروت: دار التعارف)، ص ٣٦٤.

## تحية الإسلام

ولأن الإسلام يحرص على أن يعيش الإنسان في ظل ثقافة السلم والسلام، لذا شرع المبادرة بالتحية بالسلام: (السلام عليكم)، فقد ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن السلام اسم من أسماء الله تعالى فأفشوه بينكم»<sup>(١)</sup>، وورد عنه: «أبخل الناس من بخل بالسلام»<sup>(٢)</sup>. وجاء عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) أنه قال: «إن الله عز وجل يحب إفشاء السلام»<sup>(٣)</sup>، وتعاليم الإسلام تشجع على البدء بالسلام، حيث جعلته مستحباً، ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «السلام تطوع والرد فريضة»<sup>(٤)</sup>، وبالسلام يُرسل الإنسان رسالة اطمئنان لمن يلتقيه وكأنه يقول له: لن تنال مني إلا خيراً.

هكذا يوفر الإسلام هذه الثقافة للإنسان بحيث يكون مهياًً للسلم والتعاون مع الآخرين في حياته، فتدفعه هذه الثقافة للتفكير في الآخرين لا أن يركز على ذاته فقط، وفي المقابل فإن الثقافة التي تنتج العنف، هي ثقافة تجعل الإنسان أنانياً متمحوراً حول ذاته ورغباته، ولا يهمله أمر الآخرين، هذه الثقافة تهيب أرضية العنف لدى الإنسان؛ لأنه لا يبالي بالآخرين ويهتم بنفسه فقط. وقد تكون مصالحة تقتضي

(١) آقا حسين البروجردي. جامع أحاديث الشيعة. ج ٢٠، الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ، (قم المقدسة)، ص ١١٨، حديث ١٢.

(٢) ميرزا حسين لنوري الطبرسي. مستدرک الوسائل. ج ٨، الطبعة الثالثة ١٩٩١ م، (بيروت: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث)، ص ٣٥٨، حديث ١.

(٣) جامع أحاديث الشيعة. ج ٢٠، ص ١١٦، حديث ١.

(٤) وسائل الشيعة. ج ١٢، ص ٥٨.

منه أن يعتدي على الآخرين.

وهنا مسألة مهمة: ثقافة الإسلام تُربي الإنسان على ألا يهتم بنفسه فقط، إذ ينبغي له أن يهتم بالآخرين: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ [سورة النحل، الآية: ٩]، أي الإحسان إلى الآخرين. وفي الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: «الخلق عيال الله عز وجل فأحبهم إليه أنفعهم لعياله»<sup>(١)</sup>.

وهذه الثقافة توجه الإنسان إلى أن أهم لذة تحققها ليست تحقيق رغباتك الشخصية المادية، بل هي تلك اللذة المعنوية التي تكمن في خدمتك الآخرين.

وقد سئل أحد العلماء الصالحين: إذا لم يبق من عمرك إلا ساعة واحدة، ففيم كنت تصرفها؟

قال: أجلس على باب داري أنتظر صاحب حاجة فأقضي له حاجته. وهذه هي ثمرة تعاليم الإسلام.

وفي القرآن الكريم آيات كثيرة توجه الإنسان للاهتمام بحاجات الآخرين، بل يحض القرآن على الإيثار ﴿وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [سورة الحشر، الآية: ٩]، ويروي لنا من سيرة أهل البيت أروع الأمثلة في ذلك، يقول تعالى: ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ \* إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ

(١) الشريف الرضي. المجازات النبوية، (قم: منشورات مكتبة بصيرتي)، ص ٢٤١.

جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴿سورة الإنسان، الآيتان ٨-٩﴾، هذه الآية تحكي القصة المعروفة<sup>(١)</sup> عن أهل البيت عليهم السلام، عائلة كاملة أفرادها صائمون: علي وفاطمة والحسنان عليهم السلام وخدامتهم، وعند الإفطار يقدمون كل الطعام لمسكين ويبيتون جوعاً، وفي اليوم الثاني يأتيهم يتيم، وفي اليوم الثالث يأتيهم أسير، وفي الثلاثة أيام يقدمون طعامهم إلى آخرين إيثاراً منهم، ولذا خلد القرآن هذه الحادثة العظيمة.

وفي التاريخ الإسلامي أحداث كثيرة تُجسّد هذه الثقافة، ففي إحدى المعارك الإسلامية، قال أحدهم: أتيت أنفق الجرحى وكان عندي ماء، فأتيت ابن عمي وقلت له: أسقيك؟ فأشار برأسه أن نعم، فإذا أنا برجل يقول: آه! آه!

فأشار إليّ أن انطلق إليه، فقلت: أسقيك؟ فأشار أن نعم. فسمع آخر يقول: آه! آه!

فأشار أن انطلق إليه فجئته فإذا هو قد مات. فرجعت إلى الثاني فإذا هو قد مات. فرجعت إلى ابن عمي فإذا هو قد مات<sup>(٢)</sup>.

هكذا نجد عمق الإيثار لدى أصحاب رسول الله.

هذه الثقافة تجعل الإنسان يمتنع عن الاعتداء على الآخرين،

(١) لتفاصيل القصة يراجع تفسير مجمع البيان. ج ١٠، ص ٢٠٩، وبحار الأنوار. ج ٣٥، ص ٢٤٥، بالإضافة إلى كتب أسباب النزول.  
(٢) أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي. تفسير القرطبي ج ١٨، الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ، (بيروت: دار الكتب العلمية)، ص ٢٨.

على دمائهم أو أرواحهم أو أموالهم. ففي الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: «المسلم من سلم الناس من يده ولسانه»<sup>(١)</sup>.

من جانب آخر، فإن ثقافة القرآن تعتبر الاعتداء على شخص واحد اعتداءً على البشرية كلها: ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [سورة المائدة، الآية: ٣٢]. وفي الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لزوال الدنيا جميعاً أهون عند الله من دم يسفك بغير حق»<sup>(٢)</sup>.

فهذه الثقافة تربي على رعاية حقوق الآخرين وعدم الاعتداء عليهم، قال تعالى: ﴿وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [سورة المائدة، الآية: ٨٧]، وورد في الحديث عن أبي عبد الله ﷺ أنه قال: «من شرك في دم حرام بشطر كلمة جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه: آيس من رحمة الله»<sup>(٣)</sup>.

وفي الرواية أن النبي ﷺ بعد إكمال أعمال منى وقف بالمسلمين وقال: «يا أيها الناس، أيّ يوم هذا؟» قالوا: يوم حرام، ثم قال: «يا أيها الناس، فأيّ شهر هذا؟» قالوا: شهر حرام، قال: «أيها الناس، أيّ بلد هذا؟» قالوا: بلد حرام، قال: «فإن الله عز وجل حرم عليكم دماءكم

(١) الشيخ الصدوق. صفات الشيعة، (طهران: كانون انتشارات عابدي)، ص ٣١.

(٢) المزني. تهذيب الكمال. ج ٩، الطبعة الرابعة ١٤١٣ هـ، (بيروت: مؤسسة الرسالة)، ص ٢٣٧، وكنز العمال. حديث ٣٩٩٤٧.

(٣) علاء الدين علي المتقي الهندي. كنز العمال، الطبعة الخامسة ١٤٠٥ هـ، (بيروت: مؤسسة الرسالة)، حديث ٣٩٩٣٥.

وأموالكم وأعراضكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا إلى يوم تلقونه»<sup>(١)</sup>.

### ثقافة العصر المادية

ومن المؤسف أن البشرية اليوم تعيش في ظل ثقافة تنتج العنف وتربي على العنف، هذه الثقافة المادية التي تركز على محورية الذات، وتحرض شهوات الإنسان وغرائزه، وتوفر عبر الإعلام مختلف الوسائل التي تدعم هذا التوجه.

هذه الثقافة التي تمجّد القوة والغلبة، وتغرس في الناس هذا التوجه، حتى الأطفال، من خلال أفلام الكرتون التي في غالبها ثقافة عنف.

إضافةً إلى أن مناظر العنف والدماء والقتل ما عادت مستنكرة كما في الماضي، فيوماً في نشرات الأخبار يرى الإنسان الأشلاء والجثث والقتلى والدمار، هذه المناظر التي كان الإنسان في الماضي ينهار بمجرد أن يسمع عنها لا أن يراها، أصبحت اليوم أمراً مألوفاً وطبيعياً عند الصغار والكبار. هذه المظاهر تنتج العنف وتروج له في المجتمعات. ولذلك تعاني مختلف المجتمعات من العنف والجريمة.

ففي أمريكا في كل ثانيتين ونصف تقع جريمة.

(١) الشيخ الصدوق. الخصال، الطبعة الأولى ١٤٢٩ هـ، (بيروت: دار المرزقي)، ص ٤٨٧.

ويوجد في أمريكا أكثر من ٥ آلاف عصابة إجرامية منظمة.

وفي إحصائية استبائية أجريت على مجموعة كبيرة من الأمريكيين، وقد سئلوا: ما أبرز المشاكل التي تواجهونها؟ فكان ما نسبته ٢١٪ أجابوا: جرائم العنف. و ٤٠٪ من الأمريكيين يضطرون إلى تغيير نمط حياتهم خوفاً من الجرائم والمجرمين.

ومجتمعنا باعتباره جزءاً من هذا العالم، وتصله عبر الإعلام ووسائل الاتصال هذه الثقافة وأنماط السلوك المختلفة، لذلك أصبحنا نعيش مثل هذه المشكلة في مجتمعاتنا.

### العنف وتهديد الأمن الاجتماعي

حينما تصبح حالات العنف طبيعية أمام الناس، وحينما يمجد أصحاب القوة بدلاً من الوقوف مع المظلوم، هنا يُهدد أمن المجتمع. في حين أن ثقافة الإسلام تأمر المجتمع بالتعاطف مع المظلوم وإدانة الظالم. والقرآن الكريم يُخلد إدانة لظلم وقع قبل آلاف السنين، لا اعتداءً وقع على مجموعة مؤمنة بغير حق، يقول تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ \* وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ \* وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ \* قَتَلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ﴾ [سورة البروج، الآيات: ١-٤]. هكذا يُبرز القرآن هذه الحادثة وبهذا التهويل.

ونحن إذ نذكر المآسي والمظالم التي وقعت على أهل البيت إنما من أجل ترسيخ هذه القاعدة، وهي: التعاطف مع المظلومين.

وفي المقابل هناك ثقافة تُمجّد الظالمين، ولا تستنكر ما يقومون به من ظلم، وعند موت الظالم تكفيه الشهاداتان!

وفي بعض كتب التراث نجد مقولات غريبة، ففي كتاب التهذيب، مثلاً، هناك روايات عن عمر بن سعد، وفي الترجمة يقال عنه: عمر بن سعد تابعي ثقة قتل الحسين<sup>(١)</sup>. وكأن جريمة قتل الإمام الحسين لا تعني شيئاً، ولا تستدعي الخدش بوثاقة فاعلها!!

### أمن مجتمعنا... إلى أين؟

الأمن الاجتماعي موضوعٌ مهم جداً، فالإنسان يتطلع للعيش في مجتمع يأمن فيه على نفسه، وماله وعرضه، وهذا أهم معلم لسعادة الإنسان. ففي رواية عن الإمام الصادق<sup>(ع)</sup> يقول: «النعيم في الدنيا الأيمن، وصحة الجسم، وتمام النعمة في الآخرة دخول الجنة»<sup>(٢)</sup>.

في الماضي كان الأمن في مجتمعنا متوفرًا، فالناس يأمنون على أنفسهم وبيوتهم وعيالهم وأموالهم، لم يكن مجتمعنا ملائكيًا، فقد تحدث جرائم وسرقات واعتداءات. ولكن هناك فرق بين أن تكون هذه حالات فردية محدودة، وبين أن تكثر وتقترب أن تكون ظاهرة.

(١) لقد استنكر بعض رجال الحديث توثيق عمر بن سعد، منهم ابن معين حيث قال: «كيف يكون من قتل الحسين ثقة؟»، تهذيب التهذيب. ج ٧، ص ٣٩٦.  
(٢) الشيخ الصدوق. معاني الأخبار، طبعة ١٣٧٩ هـ، (قم: مؤسسة النشر الإسلامي)، ص ٤٠٨.

ويستغرب الإنسان مما يسمعه بين آونة وأخرى من حالات الاعتداء على النفوس والأعراض والأموال، حتى لا نكاد نصدق أن ما يحصل بالفعل يحدث في مجتمعنا الذي كنا نفخر به، وتنبأهى أمام الآخرين. والحوادث في هذا الإطار كثيرة، ومنها: الاعتداء على النساء بسرقة حقائبهن وإيذاءهن حال سيرهن في الشوارع والأسواق، وكذلك الاعتداء على الأطفال بالاختطاف، والاعتداء على العمالة الوافدة، التي كانت إلى وقت قريب تشعر بالاطمئنان لكونها تعمل في هذه المنطقة، وبعض هذه الجرائم تنقلها وسائل الإعلام والصحف المحلية، مما يؤكد أننا نعيش وضعًا خطيرًا مرعبًا، ويجب أن نعلن جميعًا حالة الطوارئ، ونعيد النظر في ثقافتنا وبرامجنا ومناهج تعليمنا، وكذلك أداء الأجهزة الأمنية والقضائية، فهذه الظاهرة بدأت تنمو، وقد سألت أحد المسؤولين في الجهات الرسمية، هل ما ينشر في الجرائد أمر مضخم؟ أجابني: بل إن ما يُنقل جزءٌ مما يحدث في المجتمع!

وتشير التقارير الدولية أن أفضل بلد في العالم نجحت في تخفيض نسبة الجريمة هي اليابان، فما هو السبب؟

تقول الدراسات: يكمن السبب في كثرة المؤسسات الشبابية في اليابان حيث يوجد (٥٤٠) ألف مؤسسة تهتم بالشباب، واحدة من تلك المؤسسات اسمها «وحدة الإرشاد والتوجيه للشباب»، فيها (١٢٦) ألف متطوع من الشباب، وهناك مؤسسة المرأة للتأهيل،

تخص النساء فقط، وفيها (٣٦٠) ألف امرأة متطوعة.

فوجود المؤسسات التي تعنى بالشباب وتستقطبهم أمرٌ ضروري، ويُساعد على تخفيف حدة الجرائم في المجتمع. وعلينا أن نغتنم فرصة تواجد الشباب في المجالس الحسينية لتوجيه الشباب وتشجيع المجتمع لمثل هذه المؤسسات.

كما أن علينا ألا نُسرَّ كثيرًا بما يحدث في عاشوراء من تفاعل مع الشعائر إذا لم نستثمرها في إصلاح السلوك الاجتماعي، إن هذا التفاعل يُحمّلنا مسؤولية كبيرة، وهي ألا نغفل عمّا يجري في المجتمع، فالكُلُّ مسؤول، والأجهزة الأمنية مطالبة ببذل المزيد من الجهد، صحيح أنها انشغلت بمواجهة الإرهاب، ولكن المواطنين يتوقعون دورًا أكبر في حماية الأمن الاجتماعي. والجهات القضائية كذلك عليها أن تكون أكثر صرامة في إصدار الأحكام؛ لأن العابثين إذا شعروا بوجود تساهل فإن ذلك يدفعهم لممارسة الجرائم وعدم الاكتراث بالعقوبة.

فينبغي أن يكون الردع بالمستوى المطلوب الذي يستحقه المجرم، لا أن تتساهل مع المجرمين، ونسمح للوساطات، فنحن في مرحلة نحتاج فيها للصرامة.

### التزام الإمام الحسين بالسلم في نهضته

لماذا تحرك الإمام الحسين؟ هل في نهضته مخالفة لمنهج

السلم؟

الإمام الحسين عليه السلام إنما تحرك حفاظاً على أمن الأمة، وحماية مصالحها، وقد رأى أن سلطة بني أمية لا تُقدّم للناس أمناً، بل تعتدي عليهم، وقد قال فيهم أمير المؤمنين علي أبي طالب: «والله لا يزالون حتى لا يدعوا لله محرماً إلا استحلوه، ولا عقداً إلا حلوه. وحتى لا يبقى بيت مدر، ولا وبر، إلا دخله ظلمهم ونبا به سوء رعيهم، وحتى يقوم الباكيان يبكيان: باكٍ يبكي لدينه، وباكٍ يبكي لديناه»<sup>(١)</sup>.

### بين الخلافة والملك

هذه الأمة التي كانت تعيش في ظل الخلافة الراشدة، التي انتهت باستشهاد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وفجأة يُصبح يزيد أميراً للمؤمنين!

الإمام الحسين عليه السلام التزم بوثيقة الصلح التي عقدها الإمام الحسن عليه السلام مع معاوية، رغم نكث الطرف الآخر للوثيقة، ورغم كل التلاعب الذي حصل في بيت مال المسلمين، وقد أعلن ذلك معاوية حينما خاطب المسلمين بقوله: ما قاتلتكم لكي تصوموا ولا لتصلوا ولا لتزكوا ولا لتحجوا، وأعلم أنكم تفعلون ذلك، وإنما قاتلتكم لأتأمر عليكم، ولقد مكنتني الله من رقابكم وأنتم كارهون.

وأشير هنا إلى كتاب جميل لمفكر إسلامي وداعية معروف وهو الشيخ أبو الأعلى المودودي وهو من كبار علماء المسلمين

(١) نهج البلاغة شرح محمد عبده، الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ، (بيروت: دار البلاغة)، خطبة رقم ٩٨.

في هذا العصر، حصل على جائزة الملك فيصل لخدمة الإسلام سنة ١٩٩٧ م. هذا العالم لديه كتاب مهم جداً اسمه (الخلافة والملك)<sup>(١)</sup>، يتحدث فيه عن الخلافة التي انتهت بمقتل الإمام علي عليه السلام، ويقارنها بالملك العضوض الذي بدأته بنو أمية. ويشير أبو الأعلى في كتابه إلى أن الدولة الأموية إنما تأسست بسبب الأرضية التي هيأتها البطانة التي أحاطت بالخليفة عثمان.

وقد انزعج البعض من هذا الكتاب بسبب تعرضه للصحابة، وقام الشيخ المودودي برد مفصل أحقه في الطبعة الثانية وهي المتداولة، أشار فيه إلى أن احترام الصحابة، لا يمنع أن نأخذ الدروس من حياتهم، ولا يعني أن نسكت على الأخطاء، فبسكوتنا تُصبح شرعاً يسير عليه الناس.

وأيضاً هناك كتاب للشيخ محمد قطب وهو عالم معروف من مصر أقام في المملكة وشارك في إعداد المناهج الدينية، عنوان كتابه: (كيف نكتب التاريخ الإسلامي)، يقول فيه: «مما لا شك فيه أن التاريخ السياسي للمسلمين هو أسوأ ما في تاريخهم كله...، فما لا شك فيه أنه قد وقعت انحرافات كثيرة في المجال السياسي عن الخط الإسلامي الأصيل، وأن هذه الانحرافات قد وقعت في وقت مبكر من تاريخ الإسلام لم يكن ينبغي أن

(١) أبو الأعلى المودودي، الطبعة الأولى ١٣٩٨ هـ، (الكويت: دار القلم).

تقع فيه»<sup>(١)</sup>.

والعجيب في أمر يزيد أنه كان يُمارس انحرافه تحت عنوان الإسلام، يقول ابن كثير في (البداية والنهاية) عن يزيد بن معاوية: «فيه خصال محمودة من الكرم والحلم والفصاحة والشعر والشجاعة وحسن الرأي في الملك، وكان فيه أيضًا إقبال على الشهوات، وترك بعض الصلوات في بعض الأوقات، وإماتها في غالب الأوقات»<sup>(٢)</sup>.

ويروي - ابن كثير - أيضًا: «أن يزيد كان قد اشتهر بالمعازف وشرب الخمر والغنا والصيد واتخاذ الغلمان والقيان والكلاب والنطاح بين الكباش والدباب والقروء، وما من يوم إلا يصبح فيه مخمورًا، وكان يشد القرد على فرس مسرجة بحبال ويسوق به، ويلبس القرد قلانس الذهب، وكذلك الغلمان، وكان يسابق بين الخيل، وكان إذا مات القرد حزن عليه»<sup>(٣)</sup>.

هذا هو أمير المؤمنين!

وأعظم مما سبق، عندما أراد معاوية أن يجعل يزيد وليًا للعهد، خاطبه قائلاً<sup>(٤)</sup>: يا بني، ما أقدرك على أن تصل حاجتك من غير تهتك

(١) محمد قطب. كيف نكتب التاريخ الإسلامي، الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ، (القاهرة: دار الشروق)، ص ١٦.

(٢) ابن كثير الدمشقي. البداية والنهاية. ج ٨، الطبعة الأولى ١٤٢١ هـ، (بيروت: دار الكتب العلمية)، ص ٢٣٩.

(٣) المصدر نفسه. ج ٨، ص ٢٤٤.

(٤) البداية والنهاية. ج ٨، ص ٢٣٦.

يذهب بمروءتك وقدرك، ثم أنشده:

انصَبْ نَهَارًا فِي طِلَابِ الْعُلَا      وَأَصْبِرْ عَلَى هَجْرِ الْحَبِيبِ الْقَرِيبِ  
حَتَّى إِذَا اللَّيْلُ أَتَى بِالذُّجَى      وَاکْتَحَلَتْ بِالْغَمَضِ عَيْنُ الرَّقِيبِ  
فَبَاشِرِ اللَّيْلِ بِمَا تَشْتَهِي      فَإِنَّمَا اللَّيْلُ نَهَارُ الْأَرِيبِ  
كَمْ فَاسِقٍ تَحْسَبُهُ نَاسِكًا      قَدْ بَاشَرَ اللَّيْلَ بِأَمْرِ عَجِيبِ  
عَطَى عَلَيْهِ اللَّيْلُ أَسْتَارَهُ      فَبَاتَ فِي أَمْنٍ وَعَيْشٍ خَصِيبِ  
وَلَذَّةِ الْأَحْمَقِ مَكْشُوفَةً      يَسْعَى بِهَا كُلُّ عَدُوٍّ مُرِيبِ

وحتى إن زياد بن أبيه عندما شاوره معاوية في أمر يزيد أشار عليه أن يتمهل عسى أن يتغير سلوك يزيد فيكون بالإمكان تسويقه، تقول الرواية التاريخية التي يرويها اليعقوبي في تاريخه<sup>(١)</sup> أن ابن زياد قال لمعاوية: ما يقول الناس إذا دعوناهم إلى بيعة يزيد، وهو يلعب بالكلاب والقروود، ويلبس المصبغات، ويدمن الشراب، ويمشي على الدفوف، وبحضرتهم الحسين بن علي، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عمر، ولكن تأمره، ويتخلق بأخلاق هؤلاء حولاً وحولين، فعسينا أن نموه على الناس.

هذا هو يزيد ملاعب القردة، وشارب الخمر، والمعلن للفسق، وقاتل النفس المحرّمة، وفي الأخير يُصبح أميراً للمؤمنين، ولقد أجاد شاعر أهل البيت السيد جعفر الحلبي حيث يصف الحالة بقوله:

(١) أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر. تاريخ اليعقوبي. ج ٢، طبعة ١٣٨٤ هـ، (النجف: منشورات المكتبة الحيدرية)، ص ٢٢٠.

لم أدر أين رجال المسلمين مضوا وكيف صار يزيد بينهم ملكا العاصر الخمر من لؤم بعنصره ومن خساسة طبع يعصر الودكا لذلك أعلن الإمام الحسين موقفه من أول يوم في دار الوليد الوالي على المدينة حين طلب منه أن يبايع، عندها قال: «أيها الأمير إنا أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة بنا فتح الله وبنا ختم الله ويزيد رجل فاسق، شارب الخمر، قاتل النفس المحرمة، معلن بالفسق، ومثلي لا يبايع مثله»<sup>(١)</sup>.

وبالفعل أصر الإمام عليه السلام على موقفه، ولكن يزيد لم يستسغ ذلك، فأمر بفرقة أن تمضي إلى مكة وأن تقتل الإمام الحسين عليه السلام ولو كان متعلقاً بالكعبة.

### الحسين والنهضة السلمية

وعندما علم الإمام الحسين عليه السلام بالأمر تحرك لتوعية الأمة لكي تتحمل مسؤوليتها، أعلن حركته السلمية للتغيير دون أن يستخدم سلاحاً، وقال كلمته المشهورة التي تبين سبب خروجه: «أني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي، أريد أن أمر بالمعروف وأنهى عن المنكر وأسير بسيرة جدي وأبي»<sup>(٢)</sup>.

(١) السيد ابن طاووس. اللهوف في قتلى الطفوف، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ، (قم: أنوار الهدى)، ص ١٧.

(٢) لجنة الحديث في معهد باقر العلوم. موسوعة كلمات الإمام الحسين، الطبعة الثالثة ١٤١٦هـ، (قم: دار المعروف)، ص ٣٥٤.

وفي أكثر من مورد يعلن الإمام الحسين عليه السلام أن حركته سلمية وليست للحرب، ومن ذلك موقفه مع الحر بن يزيد الرياحي الذي قدم بألف فارس قد أنهكهم العطش<sup>(١)</sup>، وقفوا أمام الإمام عليه السلام وقت الظهيرة، في شدة الحر، ورآهم الإمام عليه السلام وقد أشرفوا على الهلاك من شدة الظمأ، وكانت فرصة سانحة للإمام عليه السلام أن يقاتلهم ويستولي على عتادهم، لكنه رفق لحالهم، وغيض النظر عنهم، وهو يعلم أنهم جاؤوا لقتاله وسفك دمه، وقد أشار عليه بعض أصحابه بذلك، إلا أن نهج الإمام ليس كذلك، وذلك لأن شعاره: «إني أكره أن أبدأهم بقتال»<sup>(٢)</sup>، ثم أمر أصحابه أن يسقوهم وأن يرشفوا خيولهم ترشيفاً.

من هنا يؤكد الإمام الحسين عليه السلام للأمة أنه لا ينبغي استخدام العنف والسلاح في التغيير السياسي؛ لأن ذلك ليس في مصلحة المجتمع. وقد تحدث علماؤنا وفقهاؤنا عن هذا الجانب، ومن أبرزهم، المرجع الراحل السيد محمد الشيرازي عليه السلام، الذي كتب في هذا المجال كتب عدة حول (اللاعنف في الإسلام)<sup>(٣)</sup> وحول (السلم والسلام)<sup>(٤)</sup>، وأكد فيها أنه لا مجال لفرض الرأي والتسلط على الناس

(١) باقر شريف القرشي. حياة الإمام الحسين بن علي، ج ٣، الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ، (بيروت: دار البلاغة)، ص ٧٤.

(٢) بحار الأنوار. ج ٤٥، ص ٥.

(٣) السيد محمد الشيرازي. اللاعنفي في الإسلام، الطبعة الأولى ٢٠٠٢ م، (بيروت: دار العلوم).

(٤) السيد محمد الشيرازي. السلم والسلام، الطبعة الأولى ١٤٢٦ هـ، (بيروت: دار العلوم).

بالسلاح والقوة، وأن هذه الممارسات ليست من الإسلام في شيء.  
ومع الأسف في عصرنا هذا شُوِّهت سمعة الإسلام والمسلمين  
بسبب التصرفات الإرهابية التي لا تُريد للإسلام ولا للمسلمين خيرًا،  
وبسببها فقدت الأمة أمنها واستقرارها، ولم يبق بلدٌ من بلاد المسلمين  
إلا وتضرر منها.

نسأل الله تعالى أن يقِي الأمة شر الفتن، إنه على كل شيء  
قدير.



## الإمام الحسين ونهجه في الدعوة والحوار

﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [سورة النحل، الآية: ١٢٥].

### سبيل التأشير على الآخرين

من الطبيعي أن يجد الإنسان نفسه في هذه الحياة أمام من يختلف معه في الرأي، ومن تتضارب مصالحه مع مصالحه، فالناس يختلفون في آرائهم وتوجهاتهم، وكل واحد من الناس يريد أن يحوز على أكبر قدر ممكن من المكاسب في هذه الدنيا، مما يسبب نوعاً من التضارب في المصالح بين الناس.

وحينما يكون الإنسان أمام من يخالفه في الرأي فإنه قد يسعى لإقناعه برأيه، إما انطلاقاً من حالة دينية، باعتبار أن الدين يدفع المؤمن

للتبشير به، والنصوص الواردة تؤكد ذلك، فعن رسول الله ﷺ أنه قال: «لأن يهدي الله على يديك رجلاً خيراً لك مما طلعت عليه الشمس أو غربت»<sup>(١)</sup>.

وفي بعض الأحيان يتجسد حب الذات لدى الإنسان في سعيه لنشر آرائه باعتبارها نوعاً من الانتصار للذات، وبذلك يتتبعه السرور والفرح.

والسؤال المهم: ما هو السبيل للتأثير على الآخرين؟ وكيف أحافظ على مصلحتي حينما تتضارب مع مصلحة الآخرين؟  
هناك طريقتان:

### الأول: استخدام القوة والفرض

وهنا يلجأ الإنسان للقوة حتى يفرض رأيه، بالطبع الفرض في المجال الفكري ومجال الرأي ليس صحيحاً وغير ممكن، فكما أن لك عقلاً، فإن لغيرك عقلاً، قد يختلف معك في التفكير، والله تعالى خلق الناس أحراراً، فلا يصح لأحد أن يسعى لفرض رأيه على الآخرين، حتى وإن كان معتقداً بأن رأيه حق، إذ كل واحدٍ يعتقد أن رأيه حق، وهذا الاعتقاد لا يبرر فرض الآراء على الآخرين، فالله سبحانه وهو رب البشر لم يفرض على الناس الإيمان به بالقسر والقوة، يقول تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُهُ

(١) الكافي. ج ٥، ص ٢٨، حديث ٤.

النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿سورة يونس: الآية ٩٩﴾.

وكذلك الأنبياء والرسل الذين يحملون رسالة الحق للناس من قبل الله تعالى، لم يسمح لهم أن يفرضوا دعواتهم على الآخرين بالقوة، وإنما دورهم ينحصر في التبليغ: ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [سورة النور: الآية ٥٤]، ﴿فَذَكَرْنَا إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكَّرٌ \* لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ﴾ [سورة الغاشية: الآية ٢٢].

فإذا كان الأنبياء والرسل لا يحق لهم أن يفرضوا رأي الحق ورسالة الحق على الناس، فهل يصح لأيٍّ واحدٍ أن يقوم بهذا الدور؟

لكن بعض المتجبرين يسعون لفرض الرأي بالقوة، وفي تاريخنا الإسلامي نجد كيف أن بعض الحكام كانوا يسعون لذلك. وفي الواقع ليس ذلك إخلاصاً منهم لتلك الآراء، ولكنه ممارسة للتسلط والهيمنة على الناس، فلا يكتفون بالتسلط على أجساد الناس، وإنما يريدون أيضاً التسلط على أفكارهم والتحكم بأرائهم.

وهنا نذكر مثلاً واحداً:

المهدي العباسي الذي حكم الأمة الإسلامية ١١ سنة (منذ ١٥٨ هـ حتى ١٦٩ هـ)، تبنى إبان حكمه شعار مواجهة الزنادقة، وهم الذين لديهم آراء تخالف الإسلام، فكيف واجههم؟ لم تكن المواجهة بالمنطق والحوار والدليل، ولكن بالسيوف. فأَيُّ اتهامٍ يصله ضدَّ أحدٍ بأنه زنديق، يأمر بقتله. وبهذه السياسة صار هناك مجال للشوايات

ولتصفيه الحسابات، ويذكر أن وزيره أبا عبيد الله معاوية بن يسار، وكان أديبًا عالمًا وهو أول من صنّف كتابًا في الخراج، هذا الوزير حصل بينه وبين الربيع الحاجب سوء تفاهم، فأراد الحاجب أن يصفي حسابه معه، فوشى إلى المهدي أن وزيرك له ابن اسمه محمد، وهو متهم في دينه. فقال المهدي: عليّ به، وقال: يا محمد اقرأ القرآن - فاستعجم عليه القرآن (باعتباره شابًا وفي حضرة الخليفة ارتبك ولم يستطع القراءة)، فالتفت إلى أبيه وقال له: يا معاوية، ألم تخبرني أن ابنك جامع للقرآن؟ فقال: بلى يا أمير المؤمنين، ولكنه فارقني منذ سنين وفي هذه المدة نسي القرآن.

فقال المهدي: قم فتقرب إلى الله بدمه، فذهب ليقوم فوق.

فتدخل أحد الحاضرين وهو العباس بن محمد قال: يا أمير المؤمنين، إن شئت أن تعفي الشيخ، ففعل، وأمر المهدي بابنه فضرب عنقه<sup>(١)</sup>.

هذه الطريقة لا يقبل بها العقل والدين، فما هو السبيل إذن؟

الآخر: التأثير على الآخرين عن طريق الحوار والإقناع

وهو الطريق الذي يأمر به القرآن الكريم، يقول تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾.

(١) محمد الخضري بك. الدولة العباسية، ١٩٧٠م (القاهرة: المكتبة التجارية)،

الحكمة: من الإحكام، وهي وضع الشيء في موضعه. فحينما تريد أن تقنع شخصاً فاختر الكلام المناسب، والدليل المناسب، وبالأسلوب المناسب، والحكمة تعني مخاطبة العقل مع دليل وبرهان.

الموعظة الحسنة: تعني إثارة الوجدان والمشاعر الطيبة، بحيث لا تكون الموعظة خشنة.

وقد يكون لدى الطرف الآخر شبهة فكن مستعداً واستقبل رأيه وتناقش معه، فهذا هو هدي السماء وتوجيهها، بأن تتناقش وتتجادل معه بأفضل أسلوب وأحسن خطاب ﴿وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾.

### أزمة الحوار في المجتمع الإسلامي

نحن نرى في هذا العصر، أن المجتمعات المتقدمة قطعت شوطاً في النضج في تعاملها الداخلي مع مشاكلها الفكرية، والسياسية، وفي المصالح المختلفة، فهم يختلفون، ولكن يتناقشون ويتحاورون ويصلون إلى حل وسط، ويتعايشون مع اختلافاتهم المتنوعة في مختلف الميادين والأبعاد. أمّا في مجتمعنا الإسلامي، هذا المجتمع الذي كان يجب أن يكون نموذجاً في علاقاته الداخلية، بنص القرآن الكريم: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ١١٠]، نجد واقعنا لا يعكس تلك الصورة المشرقة التي يريدها لنا القرآن الكريم. ولذا تجد مجتمعاتنا تعيش أزمات متعددة على هذا الصعيد، وهذه الأزمات على نوعين:

أزمات متفجرة، وأخرى كئيباً تحت الرماد يُمكن أن تتفجر في أي وقت. لماذا؟

لأننا لا نسلك طريق الحوار، وهذا قد يكون من تأثير العصبية الجاهلية، بعكس الهدى الإسلامي، الذي من أبرز معالمه: التسامح، والاحترام المتبادل، ولكن رواسب العصبية الجاهلية لم تتلاش. وفي بعض الأحيان تحصل فتن ومشاكل وصراعات دون مبرر وسبب.

فقد نقل عن سبب إحدى المعارك الكبيرة في تاريخ العرب أن رجلاً مدَّ رجله في وسط الطريق وصاح: من كان رجلاً فليعد رجلي عن هذا الطريق. أحد المازة لم يتحمل هذا الكلام، فأخذ سيفه وقطع رجله. وبسبب هذا الحدث البسيط حصلت بين القبيلتين حربٌ شعواء نتيجة تصرف أحمق.

وفي واقعنا الاجتماعي نطلُّع أحياناً على بعض المشاكل وعند التدخل لحلها نجد أن أصلها تافه لا يستحق أن تحصل بسببه مشكلة.

وتجد هذه الحالة سائدة في محيطنا الإسلامي والعربي على مختلف الصُّعد والمستويات، سواءً: العائلي أو السياسي أو الاجتماعي أو المذهبي، ولذلك ترى في بلدان المسلمين كأفغانستان وفلسطين ولبنان والعراق والصومال والسودان مشاكل متعددة.

والسؤال: لماذا هذه المشاكل المتراكمة في المحيط الإسلامي والعربي؟ بينما نجد انخفاض مستوى المشاكل في المجتمعات الأخرى، أليس عندهم تضارب في المصالح أيضاً؟

بلى، والمصالح هناك أضخم بكثير مما هي عليه في مجتمعاتنا الإسلامية والعربية. ونجدهم يختلفون وتتضارب مصالحهم، وما يُميزهم امتلاكهم لمنهجية في التعامل مع مشاكلهم. ونحن مع الأسف ليست عندنا هذه المنهجية.

وبلادنا لا تخلو من هذا النوع من المشاكل الاجتماعية التي لا مبرر لها، ففي تاريخ ١٧ / ١٢ / ١٤٢٧ هـ قرأت في (جريدة اليوم) خبرين عن مناسبتين متباينتين.

**الخبر الأول:** يتحدث عن صراع في إحدى مناطق المملكة بين أشخاص حصل بينهم اختلاف في المقبرة، جاء في الخبر: أن المعزين اشتبكوا مع بعضهم البعض خلال تشييع الجنائز، بسبب ملاسنة بين عدد منهم وأسفر الشجار عن إصابة البعض بإصابات مختلفة.

وتعود تفاصيل الواقعة إلى مشادة كلامية بين اثنين من المعزين، إثر خلاف قديم بينهما، تحول إلى تشابك بالأيدي. ثم تدخل بعض الحضور، وتطور التشابك إلى استخدام العصي، وتحولت المقبرة إلى حلبة مصارعة، وقد ساهمت الدوريات الأمنية في تهدئة الخلاف، وأسفر التشاجر عن إصابة أربعة أشخاص إصابة أحدهم بالغة.

مع العلم أن الإنسان في المقبرة ينبغي أن يتذكر الموت والحساب فيخشع قلبه، ولكن هذا ما حصل، وكما قال الشاعر القديم: فإن الحرب أولها كلام.

**الخبر الآخر:** نشرته الجريدة وفي اليوم نفسه عن مدينة الخبر، يتحدث عن خلاف حوّل حفلة عرس إلى مأتم بسبب خلاف بين أهل العريس وأهل العروس، وسالت فيه الدماء، وتحول الفرح إلى حزن وانتهى في مركز للشرطة.

### ما هذه الحالة المتخلفة؟

وتبرز حالة الخلاف واضحة في المجال المذهبي، ومن آخر الأحداث، مؤتمر الدوحة في التقريب بين المذاهب الإسلامية<sup>(١)</sup>، ومع أن المؤتمر للتقريب، إلا أننا وجدنا حالة التشنج واضحة في بعض الكلمات التي أقيمت في المؤتمر. بالطبع وجود هذا اللقاء أفضل من عدمه، والمصارحة طريقٌ للتعارف وإيضاح الصورة للجميع، وهذا أفضل من أن تبقى الخلافات محبوسة في النفوس، فيعيش الجميع حالة التباعد والاحتقان.

وكما ذكرت، فإن الأفراد والجماعات في المجتمعات الناضجة إذا اختلفوا، يلتقون ويتحاورون حتى يصلوا إلى حل وسط، ويتفقون

(١) مؤتمر الدوحة للتقريب بين المذاهب الإسلامية، نظّمته جامعة قطر بالتعاون مع جامعة الأزهر بمصر والمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية بإيران، في الفترة من ٢٠ - ٢٢ يناير ٢٠٠٧م الموافق ٣-٥ محرم ١٤٢٨هـ في العاصمة القطرية الدوحة.

على نقاط مشتركة، بينما في المجتمعات التي لا تمتلك هذا النضج، فإن الاختلاف بين أفرادها يؤدي إلى القطيعة والتباعد.

وهنا نذكر حادثة حصلت في التاريخ العربي لنبينا محمد ﷺ قبل البعثة، وكان عمره الشريف خمسًا وثلاثين سنة، عندما أراد العرب تجديد بناء الكعبة، وحصل بين القبائل خلاف حول أي قبيلة يكون لها شرف وضع الحجر الأسود في مكانه. هذا الخلاف كاد أن يؤدي إلى حرب ضروس، لولا أن أحد الحكماء أشار عليهم أن يحتكموا لأول من يدخل عليهم المسجد الحرام، واتفقوا على ذلك، فكان أول من دخل عليهم رسول الله، فلما أن رأوه قالوا: جاء الصادق الأمين، قبلنا به حكمًا. فطرحوا عليه المشكلة. فقال: آتوني برداء واسع ووضع الحجر فيه، ثم قال: لتأخذ كل قبيلة طرفاً من الرداء، حتى إذا اقتربوا من مكان الحجر استلمه رسول الله ﷺ ووضعه في موضعه.

فالمشاكل لا تستعصي على الحل إذا أتيح للعقل أن يتدخل في الأمر.

واليوم تعيش أمتنا الإسلامية المشكلة المذهبية الطائفية التي يراد تفجيرها في هذا الوقت العصيب. ولو كانت المسألة بيد العقلاء لهان الأمر كثيرًا، إلا أن الساحة متروكة للمتطرفين وللمتشنجين، إضافة لوجود إرادات مصلحة، سياسية، تريد أن تفجر أوضاع الأمة، وتشغلها بهذه المشكلة. وإلا فإن المذاهب ليست جديدة،

والاختلاف المذهبي أمر تاريخي منذ أربعة عشر قرناً، وكنت أقول لبعض العلماء السنة: كل الإشكالات التي عندكم على المذهب الشيعي قديمة، والإجابات التي لدينا قديمة قالها علماؤنا، فإلى متى نبقى في هذه القوقعة العمياء؟

هنا تكمن أهمية الحوار والتقارب. فلماذا التباعد؟ ولماذا الاتهامات؟ ولماذا نترك الفرصة للأعداء ليستفيدوا من هذه الخلافات على حساب مصالحنا وكرامتنا ومستقبلنا؟

وهناك علماء في هذا العصر تحدثوا بصوت العقل والمنطق، منهم الشيخ علي - أبو الحسن - الخنيزي رحمته الله (١٢٩١ هـ - ١٣٦٣ هـ) الذي ألف كتاب (الدعوة الإسلامية إلى وحدة أهل السنة والإمامية)<sup>(١)</sup> فيما يزيد على الألف صفحة.

وكذلك الشيخ محمد صالح بن الشيخ علي بن الشيخ سليمان آل الشيخ مبارك (١٣١٨ هـ - ١٣٩٤ هـ) الذي تولى القضاء في منطقتنا عام ١٣٧٦ هـ حتى وفاته، يعني ثمانية عشر عاماً.

له كتاب اسمه (الدعوة في كلمة التوحيد)<sup>(٢)</sup> اتبع فيه طريق التقريب بين المسلمين ودعوتهم إلى فهم بعضهم بعضاً، قبل أن يكيل أحدهم الاتهامات الجائرة لإخوانه، مؤكداً على أهمية الوحدة

(١) الشيخ علي أبو الحسن الخنيزي. الدعوة الإسلامية إلى وحدة أهل السنة والإمامية، الطبعة الأولى ١٣٧٦ هـ، (بيروت: مطبعة الإقبال).

(٢) الشيخ محمد صالح آل الشيخ مبارك الخطي الصفواني. الدعوة في كلمة التوحيد، الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ، (بيروت: شركة دار المصطفى لإحياء التراث).

في كل حال وزمان ومكان.

فما أحوجنا إلى الأصوات التي تتحدث بصوت العقل والمنطق، حتى نعالج الأمور بالحوار وليس بالتهيج وبالتهريج. وعلينا أن نعي الأمر جيداً، فإلى أين ستصل بنا هذه التعبئة والتعبئة المضادة؟

نحن أبناء وطن واحد، وكلنا في قارب واحد، فلماذا نعطي الفرصة للأعداء؟ والمشكلة الكبرى أن آثار التعبئة تظهر على حياة المواطنين وعلاقاتهم مع بعضهم، عندما يلتقي أبناء الوطن في مختلف الأماكن، كالدوائر الحكومية، والجامعات، والمدارس، والأماكن العامة، وهذا خطرٌ كبير يجب علينا أن نُجنب بلادنا الوقوع فيه.

### قبسات من رؤية الإمام الحسين عليه السلام وسيرته

كثير من الناس يعرفون عن الحسين عليه السلام بأنه مظلوم، ويعرفون عن المآسي والآلام التي تحملها، وهي عظيمة ومهمّة. ولكننا يجب أن نتعرف أيضًا على مدرسة الإمام الحسين عليه السلام ونهجه على صعيد الدعوة والحوار.

فمن كلماته عليه السلام أنه قال: «لا تتكلمنَّ فيما لا يعينك، فإني أخاف عليك الوزر، ولا تتكلمنَّ فيما يعينك حتى ترى للكلام موضعاً، فرب متكلم قد تكلم بالحق فعيب. ولا تمارين حليماً ولا سفيهاً، فإن

الحليم يقلبك، والسفيه يؤذيك»<sup>(١)</sup>.

وفي الفقرات التالية بعض القبسات من سيرة الإمام الحسين عليه السلام في إطار الموضوع الذي نتحدث فيه.

### ■ الباقية في النقد

حينما ترى إنساناً مخطئاً في رأيه أو تصرفه، ينبغي أن تحاول إرشاده، ولكن بلباقة، والبعض من الناس لا يجيدون هذا الأسلوب، فتراهم يستخدمون التوبيخ والردع فوراً، وهذا خطأ.

فلنتأمل هذا الموقف من سيرة الإمام الحسين: مرَّ الإمامان الحسن والحسين عليهما السلام وهما صغيران على شيخ يتوضأ وهو لا يحسن الوضوء، طبعاً المسؤولية تقتضي توجيهه وإرشاده، وباعتبار أن الرجل كبير في السن وهما صغيران، فكّر في أسلوبٍ لبق بحيث لا يجرحان مشاعر الرجل وأحاسيسه، فالهدف إرشاده، أقبل أحدهما عليه وقال: «أيها الشيخ كن حكماً بيننا يتوضأ كل واحد منا»، فتوضأ ثم قال: «أبنا أحسن؟»، قال: كلاهما تحسنان الوضوء ولكن هذا الشيخ الجاهل هو الذي لم يكن يحسن وقد تعلم الآن منكما وتاب على يديكما ببركتكما وشفقتكما على أمة جدكما<sup>(٢)</sup>.

### ■ تجنب الجدل العقيم

روي أن رجلاً قال للإمام الحسين: اجلس حتى نتناظر في

(١) بحار الأنوار ج ٧٥، ص ١٢٧، حديث ١٠.

(٢) المصدر نفسه. ج ٤٣، ص ٣١٩.

الدين. فقال: «يا هذا، أنا بصير بديني مكشوف عليّ هداي، فإن كنت جاهلاً بدينك فاذهب واطلبه؟، مالي وللمماراة! وإن الشيطان ليوسوس للرجل ويناجيه ويقول: ناظر الناس في الدين كيلا يظنوا بك العجز والجهل»<sup>(١)</sup>.

وهذا درس بليغ يجب أن نتأمل فيه، إن الإنسان ينبغي ألا ينساق إلى الجدل العقيم. وأحب أن ألفت النظر إلى أن هذا الكلام الطائفي المذهبي الذي يملأ الأجواء يريد إشغال الناس بالجدل العقيم، ونصيحتي لنفسي ولجميع إخواني المواطنين بأن يتجنبوا الدخول في هذا الجدل.

في بعض الأحيان ترى في المدرسة، أو الجامعة، أو في أي مكان جدلاً من وحي ما يسمعه الناس من الفضائيات، ويتصور البعض أن واجبه الدفاع، وإذا لم يناقش يُصبح ضعيفاً، ومن هذا المنطلق يندفع البعض للتجاوب مع هذه المجادلات العقيمة، التي لا يُعلم إلى أين ستنتهي. فلا يتصور أحد أنه باستجابته يخدم المذهب والعقيدة، فهذا التصور خطأ.

وفي كثير من الأحيان يكون هدف الطرف الآخر من النقاش التعبئة واصطناع المشكلة، وقد شاهدنا وسمعنا الكثير على هذا الصعيد. ولهذا يصف القرآن الكريم المؤمنين بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ [سورة الفرقان، الآية: ٧٢]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا

(١) بحار الأنوار. ج ٢، ص ١٣٥، حديث ٣٢.

خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿٦٣﴾ [سورة الفرقان، الآية: ٦٣].

لو قرأنا كتب الحديث، كالكافي وبحار الأنوار، لوجدنا روايات كثيرة عن أئمتنا عليهم السلام حول المناظرة والجدل والمرء في الدين، وهي تنهى عن هذه الحالة، الإمام الصادق عليه السلام يقول: «إياكم والخصومة في الدين فإنها تشغل القلب عن ذكر الله عز وجل»<sup>(١)</sup>، «لا تخاصموا الناس لدينكم، فإن المخاصمة ممرضة للقلب... ذروا الناس فإن الناس أخذوا عن الناس»<sup>(٢)</sup>. والواضح أنك لا تستطيع تغيير فئات الآخرين؛ لأنهم أخذوا معارفهم من مشايخ يعتبرونهم أجلاء ويحترمونهم، وهناك رواية عن الإمام الباقر عليه السلام تؤكد على ضرورة الابتعاد عن الجدل والمناظرات العقيمة فتصف الشيعة بوصف عجيب، يقول الإمام: «إنما شيعتنا الخرس»<sup>(٣)</sup>، تعبيراً عن ابتعادهم عن هذه الحالة العقيمة.

حتى إن بعض تلامذة الإمام الصادق عليه السلام قال للإمام: بلغني أنك كرهت مناظرة الناس؟ قال: «أما كلام مثلك فلا يكره، من إذا طار يحسن أن يقع، وإن وقع يحسن أن يطير، فمن هكذا لا نكرهه»<sup>(٤)</sup>، وقال عبد الأعلى: قلت لأبي جعفر: إن الناس يعيرون عليّ بالكلام، وأنا أكلم الناس. فقال: «أما مثلك من يقع ثم يطير فنعم، وأما من يقع

(١) بحار الأنوار. ج ٢، ص ١٢٨، حديث ٦.

(٢) المصدر نفسه. ج ٢، ص ١٣٣، حديث ٢٤.

(٣) المصدر نفسه. ج ٢، ص ١٣٥، حديث ٣٣.

(٤) المصدر نفسه. ج ٢، ص ١٣٦، حديث ٣٩.

ثم لا يطير فلا»<sup>(١)</sup>.

من هنا نؤكد على أن أي شخص لديه المقدرة على معالجة الموقف بالطريقة السليمة يصح له أن يناقش، أما إذا كان عاجزاً عن ذلك كأن تكون معارفه محدودة، أو لا يقدر على ضبط أعصابه فإن الجدل ليس من مصلحته، وإن المذهب لا ينتصر بالجدل، إنما ينتصر بالعمل الصالح.

#### ■ إثارة الوجدان والضمير والقيم الهادية

في طريق الإمام الحسين إلى العراق مرّ بمنطقة تسمى (زرود) ووجد هناك خيمة زهير بن القين، وكان عثمانى الهوى، أي ممن يؤيدون الطلب بئثار عثمان، وبالتالي موقفه متأثر بالموقف الأموي. تُشير الروايات إلى أن زهيراً كان حريصاً على مخالفة الحسين عليه السلام في الطريق، حتى لا يتورط في لقاءه، ولذا لم يتفق أن وقف ركب الحسين عليه السلام وركب زهير في مكان واحد، طيلة طريق الحسين عليه السلام إلى العراق، إلا في هذه المنطقة (زرود)، إذ لم يكن لزهير خياراً آخر.

فبعث إليه الإمام عليه السلام رسولاً يدعوّه إليه، قال الراوي: فبينما نحن جلوس نتغذى إذ أقبل رسول الحسين فسلم، وقال: يا زهير بن القين، إن أبا عبد الله الحسين بن علي بعثني إليك لتأتيه، قال: فطرح كل إنسان ما في يده حتى كأننا على رؤوسنا الطير.

فقالت له زوجته: أبعث إليك ابن رسول الله ثم لا تأتيه؟

(١) بحار الأنوار. ج ٢، ص ١٣٦، حديث ٣٨.

سبحان الله، لو أتيتته فسمعت من كلامه ! فأتاه زهير بن القين، فما لبث أن جاء مستبشراً قد أسفر وجهه، فأمر بفسطاطه ومتاعه فحمل إلى الحسين، ثم قال لامرأته: أنت طالق! الحقي بأهلك، فإني لا أحب أن يصيبك من سببي إلا خيراً، ثم قال لأصحابه: من أحب منكم أن يتبعني وإلا فإنه آخر العهد.

وفي رواية: من أحب منكم الشهادة فليقم ومن كرهها فليتقدم.

إني سأحدثكم حديثاً، غزونا (بلنجر) ففتح الله علينا وأصبنا غنائم، فقال لنا سلمان الفارسي: أفرحتم بما فتح الله عليكم وأصبتم من المغنم؟ فقلنا: نعم. فقال لنا: إذا أدركتم شباب آل محمد - وفي رواية: سيد شباب أهل محمد - فكونوا أشد فرحاً بقتالكم معهم بما أصبتم من الغنائم، فأما أنا فأستودعكم الله، فقالت له زوجته: خار الله لك وأسألك أن تذكرني يوم القيامة عند جد الحسين<sup>(١)</sup>.

وفي موقف آخر مع أشد الأعداء للحسين عليه السلام، الذي قاد الجيش ضده، وهو عمر بن سعد، مع ذلك تجد الإمام الحسين عليه السلام وفي اليوم التاسع من المحرم يطلب من ابن سعد اللقاء، فيتمنع، وفي الأخير وافق، تقول الرواية:

قال له الحسين: ويحك يا ابن سعد! أما تتقي الله الذي إليه معادك، أراك تقاتلني وتريد قتلي، وأنا ابن من قد علمت، دع هؤلاء

(١) حياة الإمام الحسين. ج ٣، ص ٦٧.

القوم واتركهم وكن معي، فإنه أقرب لك إلى الله تعالى.  
فقال له: يا حسين، إني أخاف أن تُهدم داري بالكوفة، وتنهب  
أموالي.

فقال له الحسين: أنا أبني لك خيرًا من دارك.

فقال: أخشى أن تؤخذ ضياعي بالسواد.

فقال له الحسين: أنا أعطيك من مالي البغيغة وهي عين عظيمة  
بأرض الحجاز، وكان معاوية، أعطاني في ثمنها ألف ألف دينار من  
الذهب فلم أبعه إياها، فلم يقبل عمر بن سعد شيئًا من ذلك.

فانصرف عنه الحسين عليه السلام وهو غضبان وهو يقول: ذبحك الله  
يا بن سعد على فراشك عاجلاً، ولا غفر لك يوم حشرك ونشرك، فو  
الله إني لأرجو أن لا تأكل من بر العراق إلا يسيراً.

فقال له عمر بن سعد مستهزئاً: يا حسين، إن في الشعير عوضاً  
عن البر<sup>(١)</sup>.

هذا هو نهج الإمام وسيرته، فحريٌّ بالأمة أن تستقي من هذا  
النهج النبوي ما ينير لها طريق التقدم والازدهار.

(١) حياة الإمام الحسين. ج ٣، ص ١٣٣.



## المحتويات

---

مقدمة .....	٥
الإمام الحسين وحركته السلمية .....	٩
ثقافة السلم وثقافة العنف .....	٩
العنف وتهديد الأمن الاجتماعي .....	١٧
التزام الإمام الحسين بالسلم في نهضته .....	٢٠
الإمام الحسين ونهجه في الدعوة والحوار .....	٢٩
سبيل التأثير على الآخرين .....	٢٩
أزمة الحوار في المجتمع الإسلامي .....	٣٣
قبسات من رؤية الإمام الحسين <small>عليه السلام</small> وسيرته .....	٣٩
المحتويات .....	٤٧

